لغز قاتلة الرغبة

ملاك الرحمة تحولت إلى عزرائيل!!

قدرة بعض الناس على أخفاء مشاعرهم وأحاسيسهم الحقيقية وامتلاكهم موهبة تضليل وخداع الشخص المقابل هي مخيفة بكل معنى الكلمة عزيزي القارئ، خاصة عندما يستبطن هؤلاء في عقولهم قدرا كبيرا من المشاكل والعقد النفسية. فكم من جريمة بشعة اقترفتها أيادي أشخاص بدوا أسوياء في أعين الناس وكانوا الأبعد عن الشبهات مما مكنهم في الاستمرار في اقتراف جرائمهم لأطول فترة، وهؤلاء يعرفون بأسم القتلة المتسلسلون لأنهم متى ما اقترفوا جريمتهم الأولى فأنهم لن يتوقفوا أبدا. وقصتنا لهذا اليوم تتحدث عن قاتلة متسلسلة استطاعت أن تخفي جنونها عن الناس لفترة طويلة اقترفت خلالها العديد من الجرائم البشعة متخفية تحت لباس ملائكة الرحمة، امرأة وجدت الكثير من الإثارة والمتعة في إزهاق أرواح الناس وتمنت لو أنها استطاعت حصاد اكبر قدر منها.

تشعر بنشوة عارمة وهي تشاهد ضحاياها يحتضرون

ولدت جين تابن (Jane Toppan)عام ١٨٥٤ في إحدى مدن ولاية ماساتشوستس الأمريكية، اسمها الحقيقي هو هونورا كيلي، كانت طفولتها بائسة إذ ماتت أمها في سن مبكرة وبقيت هي وأختها بعهدة والدهما المدمن على الكحول والذي كان يعاني من أمراض عقلية أدت به

في النهاية إلى الجنون التام لذلك تم إرسال جين الصغيرة وشقيقتها إلى إحدى دور الأيتام في بوسطن.

في ذلك الزمان كان هناك عدد كبير من الأيتام في الولايات المتحدة، بسبب الحرب الأهلية وكذلك بسبب تفشي بعض الأوبئة القاتلة كوباء مرض السل الذي كان يحصد آلاف الأرواح عبر البلاد ويفتك بعوائل بأكملها، لهذا وبسبب الزخم الكبير عليها كان القانون يسمح لدور الأيتام في عرض الأطفال الذين يعيشون في كنفها ليس للتبني فقط وإنما للعمل كخدم أيضا في المنازل مقابل الحصول على الرعاية والملبس والطعام والمسكن، وللعائلة التي يعمل اليتيم عندها كخادم كامل الحرية في تبنيه رسميا إذا شاءت كما إن لليتيم الحق في ترك منزل العائلة التي يعمل عندها عند بلوغه سن الرشد إذا شاء ذلك. ومن سوء حظ جين أن أحدا لم يرغب بتبنيها ولكن في احد الأيام قدمت إلى الميتم سيدة تدعى آن تابن واصطحبت جين إلى منزلها للعمل كخادمة.

منذ الأيام الأولى لها في المنزل الجديد تعرضت جين الصغيرة لسوء المعاملة والتوبيخ والضرب لأتفه الأسباب كما أنها شعرت بغيرة كبيرة من إليزابيث وهي ابنة مخدومتها المدللة التي كانت تقاربها سنا وكانت تحظى بكل ما تريد فيما كانت جين تمضي يومها الطويل في العمل المنزلي المرهق. ورغم أنها قضت عدة سنوات في خدمة السيدة آن تابن وتحملت قسوة معاملتها إلا إن هذه الأخيرة لم ترغب أبدا في تبني جين ولكنها سمحت لها في المقابل باستعمال اسم عائلتها وهو الأمر الذي ساعد جين

في المستقبل على إخفاء تاريخ عائلتها الحقيقي الحافل بالفقر والبؤس والجنون.

في سن التاسعة عشر غادرت جين منزل عائلة تابن نهائيا ولاحقا ارتبطت بعلاقة عاطفية مع احد الشباب توجت بالخطوبة إلا أن خطيبها هجرها لاحقا وهو الأمر الذي أضاف عقدة جديدة إلى مشاكلها النفسية المتوارثة والمتراكمة ويقال أنها حاولت خلال تلك الفترة الانتحار عدة مرات ولكنها فشلت في قتل نفسها.

في السنوات التالية بدئت جين بدراسة التمريض، وخلال الدروس أثارت دهشة زميلاتها بسبب شغفها وولعها الغير طبيعي بدرس التشريح إذ كانت جين تجد متعة كبيرة في تشريح الجثث البشرية على العكس من بقية الطالبات اللواتي كن يكرهن هذا الدرس.

في عام ١٨٨٥ بدئت جين العمل كممرضة متدربة في مستشفى كامبردج وهناك وجدت أخيرا المكان المناسب للتنفيس عن جنونها الوراثي من دون أن تثير الشكوك حولها إذ إن أحدا لم يكن ليتصور أن تتحول ملاك الرحمة التي تخفف الآم الناس إلى عزرائيل تواق لحصد الأرواح. في البداية أخذت جين تبدي اهتماما متزايدا في دراسة العقاقير المخدرة وذلك لغرض الوصول إلى طريقها تمكنها من قتل الناس من دون أن يشعر بها احد، وبما أنها كانت تقضي معظم وقتها في المستشفى لذلك أخذت تتلاعب بالوصفات الطبية التي يكتبها الأطباء وبدئت تستخدم المرضى كفئران تجارب عن طريق حقنهم بمقادير متباينة من العقاقير المخدرة والمسكنة ثم

تنتظر لبرهة لملاحظة التأثيرات التي تتركها هذه العقاقير على جهازهم العصبي. وقد قادت هذه التجارب المجنونة في النهاية إلى توصل جين لوصفتها السحرية القاتلة التي تتألف من جرعة زائدة من عقاري المورفين (Morphine) والاتروبين (Atropine) حيث أنها لاحظت بالتجربة أن أعراض التسمم بالمورفين كانت تغطي على أعراض الاتروبين والعكس صحيح بحيث يصعب على الأطباء معرفة السبب الحقيقي للوفاة.

لا احد يعلم على وجه الدقة كيف كانت جين تختار ضحاياها وما هي المواصفات التي كانت تبحث عنها فيهم ولكن الجميع متفقين على أن الرغبة الجنسية كانت تلعب دورا كبيرا في اغلب جرائمها، فبعد أن تختار ضحيتها وتحقنه بالعقار المميت كانت جين تجلس بجواره وتجد متعة لا توصف في مراقبته وهو يحتضر. وأحيانا كانت تصعد إلى سرير الضحية وتستلقي بجواره بحيث تشعر بأنفاسه الحارة المتسارعة تلهب صدرها كالسوط ثم كانت تحتضنه وتشده إلى جسدها بقوة حين تداهمه سكرة الموت، ويبدو أنها كانت تداعب ضحاياها المساكين جنسيا أثناء احتضارهم إذ أخبرت المحلفين أثناء محاكمتها بأنها كانت تحصل على متعة عارمة حين تداعب المريض المحتضر بشكل يجعله يفتح عينيه ويستعيد وعيه لبرهة قصيرة قبل أن تفارق الروح جسده، كانت نظرات الرعب والصدمة تلك تمثل قمة النشوة الجنسية بالنسبة إلى جين.

في عام ١٨٨٩ انتقلت جين للعمل كممرضة في مستشفى ماساتشوستس العمومي وهناك قتلت عددا آخر من ضحاياها لكنها سرعان ما فصلت من عملها فعادت للعمل في مستشفى كامريدج لتقتل بعض

المرضى أيضا قبل أن تبدأ الشكوك تحوم حولها ويتم فصلها بسبب حقنها لعدد من المرضى بجرعات متهورة من الأفيون.

بعد فصلها من المستشفى قررت جين ان تعمل كممرضة خاصة والعجيب أن عملها الجديد سرعان ما ازدهر رغم بعض الأقاويل هنا وهناك حول سرقتها لبعض الحاجيات من منازل مرضاها ورغم موت عدد كبير منهم بصورة غامضة، وكانت أختها غير الشقيقة إليزابيث أو بالأحرى الابنة المدللة لمخدومتها السابقة السيدة آن تابن هي إحدى ضحاياها في تلك الفترة، ويبدو أن الغاية الرئيسية من قتلها لإليزابيث كان الانتقام من أمها وأيضا لأن جين كانت تغار من إليزابيث وتكن لها كراهية شديدة منذ طفولتها حيث كانت تعمل خادمة في منزلها.

في عام ١٩٠١ انتقلت جين للسكن في بيت ضابط عجوز يدعى الدين ديفز للعناية به بعد وفاة زوجته التي كانت جين قد قامت بقتلها بنفسها في السابق. ولم يمض وقت طويل على وجود جين في منزل آل ديفز حتى مات العجوز الدين ثم لحقت به وبشكل غامض ابنته الكبرى آني وتبعها بفترة قصيرة الابنة الثانية ماري، وهنا أخذت تتزايد شكوك بقية أفراد عائلة ديفز في سبب حوادث الموت المتوالية والغير منطقية التي ألمت بهم، خصوصا إن هذه الحوادث لم تقع إلا بعد قدوم جين إلى المنزل. لذلك وبسبب شعورها بالخطر فقد قامت جين بالفرار من المنزل تحت جنح الظلام.

انتقلت جين إلى منزل أختها غير الشقيقة إليزابيث بحجة الاعتناء بزوجها ومساعدته على تجاوز محنة وفاة زوجته رغم أنها كانت هي التي قامت بقتلها!، ولأنها كانت كملاك الموت ينعق البوم ويحل الخراب أينما حطت رحالها لذلك لم يمض سوى أسبوع واحد على تواجدها في منزل زوج إليزابيث حتى ماتت أخته الصغرى بصورة مفاجئة وغامضة ثم تعرض هو نفسه لوعكة صحية بعد أن قامت جين بتسميمه بجرعة صغيرة وذلك لكي تجد حجة لبقائها في المنزل بحجة الاعتناء به حتى يشفى لكنه بدء يرتاب بها بشدة. ولكي تبعد الشبهات عنها قامت جين بتسميم نفسها بجرعة صغيرة من العقار القاتل ولكن ذلك أدى إلى نتيجة عكسية حيث ازدادت شكوك زوج إليزابيث بها وأمرها بمغادرة منزله فورا.

في هذه الأثناء كانت عائلة ديفز قد تقدمت بشكوى إلى الشرطة طالبت فيها بتشريح جثة ماري ديفز التي كانت جين قد قتلتها وكانت قد دفنت حديثا. كانت العائلة ترتاب في أن ماري ماتت مسمومة وقد جاء تقرير الأطباء الذين شرحوا الجثة ليؤكد شكوكهم إذ اظهر بجلاء وجود كمية كبيرة من المورفين والاتروبين في جسدها كانت هي السبب الرئيسي في وفاتها.

في عام ١٩٠١ القي القبض على جين تابن بتهمة قتل ماري ديفز، وخلال التحقيق معها اعترفت جين بارتكاب جرائم أخرى، وأثارت اعترافاتها المرعبة صدمة كبيرة في أوساط الرأي العام الأمريكي آنذاك إذ إن جرائمها وضعت النظام الصحي للبلاد بأكمله تحت المسائلة لعدم قدرة

الأطباء على اكتشاف هذه الجرائم المتعددة رغم أن اغلبها وقعت داخل مستشفيات متخصصة وتكرر حدوثها لفترة طويلة.

في عام ١٩٠٢ تم تقديم جين تابن للمحاكمة بتهمة قتل ١١ شخصا وقد توقع الكثير من الناس أن يتم الحكم عليها بالإعدام لكن هيئة المحلفين فاجأت الجميع واعتبرتها غير مذنبة وأوصت بإرسالها إلى مصح عقلي، ويبدو ان هيئة المحلفين قد اخذوا بنظر الاعتبار الظروف المأساوية التي أحاطت بطفولة جين وكذلك الجنون المتأصل في عائلتها فوالدها وأختها كانا كلاهما قد ادخلا إلى مصحات عقلية حيث قضيا ما تبقى من عمرهما هناك.

بعد فترة من المحاكمة نشرت صحيفة نيويورك جورنال تحقيقا صحفيا بقلم احد محرريها كشف فيه عن حديث أدلى به محامي جين تابن في جلسة خاصة قال خلاله بأن موكلته كانت قد أخبرته أثناء تحضيره للدفاع عنها بأن عدد ضحاياها الحقيقيين هو ٣١ شخصا وأنها خدعت هيئة المحلفين بادعائها الجنون على أمل أن تتمكن من الخروج من المصحة بعد فترة من الزمن لتواصل جرائمها، كما أخبرته بالحرف الواحد بأن طموحها الحقيقي هو : "قتل المزيد من الناس .. أكثر من أي قاتل أو قاتلة عاشا على الأرض...".

لكن هذه التصريحات لم تنجح في إقناع القضاء بإعادة محاكمة جين تابن، بل بالعكس أكدت لهم بأن هذه المرأة مجنونة تماما بغض النظر عن عدد ضحاياها.

عاشت جين تابن في المصحة العقلية لسنوات طويلة ولم تخرج منها إلا جثة هامدة عام ١٩٣٨، لكن ذكراها المرعبة ظلت محفورة في أذهان الكثير من الناس ومنهم أطباء وممرضي المصحة التي قضت فيها والذين ظلوا يتذكرون لسنوات طويلة كيف كانت جين تحاول إغوائهم مطالبة إياهم بحقن المرضى بجرعة زائدة من المورفين وهي تردف ضاحكة بنبرة شريرة : "سنحظى بقدر كبير من المتعة ونحن نشاهدهم يموتون!".

أخيرا ربما لا تكون جين تابن هي أكثر القتلة المتسلسلين من حيث عدد الضحايا لأن الرجال هم المتفوقون في هذا المضمار بالطبع، لكن جين تفوقت على الكثير من بنات جنسها القاتلات وتميزت عنهن بشيء دفع العديد من الباحثين لدراسة حالتها، إذ إن المرأة عادة ما تقتل بهدف الحصول على المال وأحيانا بسبب الغيرة والضغينة أو العشق والحب ولكن نادرا ما تقتل المرأة بسبب الرغبة الجنسية الآنية كما هو الحال بالنسبة إلى جرائم جين تابن.